تقديـــــم

وزير السودان السابق فضيلة العارف بالله الشيخ

كمال عمر الأمين ﷺ

شيخ الطريقة التجانية بالسودان

ليس الكلام فى علم التفسير الإشارى بالسهل فى مثل هذا العـصر الذى ضيعته الماديات وزخارف الحياة الدنيا، وحطمته حضارة الغرب الواهية، والتى زحفت بكل ثقلها على الشرق العربى الإسلامى، فتشبه بها، ونسى أصوله القوية.

إن نسبة ضئيلة مما لاشك فيه تعنى بتخصص نادر وفريد، قد ماتت رجاله، واندثرت عشاقه، ألا وهو علم التأويـل البـاطنى، والتفـسير الإشارى، والذى ألف فيه قلة قليلة على مدى تاريخ الإسلام الطويل.

ولقد قيض الله الشيخ محيى الدين الطعمى مع تلـك القلـة القليلـة المتذوقة والتى أقول عليها بحـق الآن ((**ثُلَّةٌ مِّنَ الأوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ**)).

قيضه الحق تعالى ليحيى ما اندثر من تراث تلك الثلة الـصادقة، والتى هى فى زمننا هذا كالكبريت الأحمر، وكالمسك الأذفر، فها هـو يخرج إلى الوجود هذا المصنف العملاق بين الصادقين، ليربط القديم بالحديث، وليلغى قاعدة ما ترك الأول للآخر شيئاً، والـشيخ محيـى الدين الطعمى هو خير من يمثل شخصية الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى الحاتمى فى عصرنا هذا، ويلبس العلوم حللها القشيبة، وثيابهـا

المتجددة، فقد أبدى الله على يديه الكثير من العلوم والمصنفات، وكم أتى بالجديد المبتكر الذى لم يسبق إليه فى تاريخ الإسلام.

والله يهب لمن يشاء، ويعطى لمن يشاء بلا حساب، وعطاؤه غير منقطع إلى يوم القيامة، وكما قيل :

ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب

الله يعطى من يشاء فقف عند حد الأدب

ماذا أقول فى رجل قد ترعرع بين أحضان الأولياء والعلماء وكتب عنهم، واهتم بهم، واهتموا به، ولـه منهم المبشرات الكثيرة، والإرهاصات الطويلة.

ماذا أقول فى شاب نشأ فى طاعة الله، وضيع عمره فى جمع العلم وتدوينه، والالتقاء بأساطينه وأقطابه.

إن هذا التفسير الباطنى للقرآن المجيد يترجم عن علو باع الرجل فى علم الذوق والمواجيد الإلهية، وأنه أوحد عصره فى هذا الشأن، والمتفرد على أقرانه فى هذا الميدان، وليس هذا بجديد على رجل مثل الشيخ محيى الدين الطعمى، فله قبل ذلك الأعمال الصوفية والعرفانية الكثيرة مثل تكملة الفتوحات المكية، وإحياء علوم الصوفية، وفناء اللوح والقلم فى شرح فصوص الحكم إلى آخر ما صدر من مؤلفاته.

وأخيراً أقول : وفق الله الشيخ محيى الدين لما يحبه ويرضاه، وشمله وحفظه بمدد منه إنه نعم المولى ونعم النصير،

كتبه

كمال عمر الأمين

خادم الطريقة التجانية بالسودان

تقديـــم

العلامة العارف بالله فضيلة الشيخ المحدث

صلاح الدين التجانى ﷺ

الحمد لله والصلاة على رسول الله الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

وبعد. .....

فلقد طال انتظار الزمان وأهله إلى من يجدد لهم دينهم وعلمهم تفسيراً لكتاب الله الكريم على طريق أهل الحقائق والأذواق.

إلى أن بعث الله تعالى فى زماننا هذا من يحمل على عاتقه هذه المهمة الصعبة فيذلل صعبها، ويمهد طريقها.

وإذا بالشيخ الذائق الرائق العلامة الشيخ محيى الطعمى قدس الله أسراره، ورفع أعلامه، يخرج علينا بهذا الفهم الجديد العالى فى كتاب الله تعالى، وهذا ما لا يستطيعه أحد إلا أكابر الأولياء الممدودين من المولى الكريم.

ولقد حاول الإمام القشيرى فى تفسيره المشهور محاولة موفقة إلا أنه كان ينقصها الكثير.

وهى محاولة مشكورة، وابتداءة مأجورة من الله تعالى.

إلا أن مذاقات الشيخ محيى الدين الطعمى قد طالت الثريا علماً وذوقا وحالاً ومقاماً، فتراه قد أتى بذوق بكر جديد له طعمه الخاص لم يعهد من قبل، كيف وهو العالم ابن العلماء والولى ابن الأولياء فلا تستغرب نعمة الله عليه.

والقارئ لهذا الكتاب سيجد فهماً جديداً بكراً لم يسبقه إليه سابق، وهذا ليس بغريب على الشيخ محيى الدين حفظه الله تعالى، فكتبه التى كتبها من قبل وهى تربو عن (عدد) 270 كتاب، كلها فى الأذواق العالية الراقية، وأرى أنه قد استجمعها وتوجها فى هذا الكتاب الصاعقة، وهو تفسيره للقرآن المجيد المسمى **المسامرات الإلهية والمنادمات الأقدسية لكشف غوامض المتشابه فى الآيات القرآنية.**

أسأل الله تعالى أن يحفظ الشيخ محيى الدين الطعمى ويبارك له فى عمره وقد فعل والحمد لله، وينفعنا بعلمه وحاله آمين.

كتبه

صلاح الدين التجانى

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الحرف حجاباً لحقيقة كلام القوم، وجعله برزخاً فاصلاً بين ظاهر الشهود والجمود وبين باطن الحقائق على الدوم .

قال الحرف: أنا برئ لمن رأى ظاهرى فقط، ولمن تمسك بحقيقة شكلى وانخرط، ذلك هو الأعمى، واللسان الأدنى، فإن باطنى له حقيقة قد عمى الكل عن رؤيتها، وقد انحجب الجل عن ماهيتها، سوى فتى لوذعى، وفرد اكسيرى، وسوى عملاق وجودى، وسيد اسطورى، وحكيم خضرى.

هذا واصلى وأسلم على عروس القيامة، وساقى الندامى، بكأس المدامة، وأصلى وأسلم على آله وصحبه الغر المحجلين من آثار الوضوء.

وبعد

قال حكيم القوم: من لم يعرف لغتنا فليس منا، وليس له أمل فى أن يتعرف علينا، ولا أن يتقرب منا، ولا أن يترجم عنا، بل هو عبد لغيرنا.

قال الحكيم: وأى حجاب أعظم على العارف من جمود الظاهر، وعدم سيلان السرائر، فلابد أن يدخل السر فى حظيرة الحظائر، ليروى ويخبر ويزاحم، وعن الملأ الأعلى يترجم، والأمر كما قال أبو بكر الشبلى ﷺ:

علم التصوف علم لا نفاد له علم سنى سماوى ربوبى

فيه الفوائد للأرباب يعرفها أهل الجزالة والصنع الخصوصى

ويقول الحلاج ﷺ واصفا لعدم اكتناف العوالم السماوية والارضية لعلوم القوم الباطنية:

شئ بقلبى وفيه منك أسماء لا النور يدرى به كلا ولا الظلم

ونور وجهك سر حين أشهده هذا هو الجود والإحسان والكرم

فخذ حديثى وحبى أنت تعلمه لا اللوح يعلمه حقا ولا القلم

ويقول فى ذلك الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ﷺ عن عجز آلة الحس كالبصر وغيره عن تلمح شئ من معارف القوم وأذواقهم:

حقيقتى همت بها ... وما رآها بصرى
ولو رآها لغدا ... قتيل ذاك الحور
فغمضا أبصرتها ... صرحت بحكم النظر
أبيت مسحوراً بها ... أهيم حتى السحر
يا حذرى من حذرى ... لو كان يغنى حذرى
والله ما هيمنى ... جمال ذاك الخفر
يا حسنها من ظبية ... ترى بذات الحمر
إذا رنت أو عطفت ... تسبى عقول البشر
كأنما أنفاسها ... أعراف مسك عطر
كأنها شمس الضحى ... فى النور أو كالقمر

ويقول أيضاً الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ﷺ.

سلونى عن مطلعة القلوب ... وكيفيات إدراك الغيوب
أفصلها لكم تفصيل من قد ... رآها فى الشروق وفى الغروب
وعند الإستواء إذا تعالت ... وفيض الظل فى الجسد الغريب
فمنها الحس يدرك ما تتوارى ... من الإحساس بالحس القريب
ومنها ما تمثل وهو معنى ... ومنها ما يعاين بالقلوب
ومنها ما له سمة ولكن ... مطالعهن فى شك قريب

ويقول الحلاج ﷺ واصفا عجز فهوم الأكابر عن الوصول إلى حقية علوم القوم:

مواجيد حق أوجد الحق كلها وإن عجزت عنها فهوم الأكابر

وما الوجد إلا خطرة ثم نظرة تنشى لهيبا بين تلك السرائر

إذ سكن الحق السريرة ضوعفت ثلاثة أحوال لأهل البصائر

فحال يبيد عن كنه وصفه ويحضره للوجد فى حال حائر

وحال به زمت ذرا السر فانثنت إلى منظر أفناه عن كل ناظر

وما أعجب هذه الأبيات الواصفة لخطر علوم القوم، والملفتة لخفاء أذواقهم ومشاربهم حيث قيل فيها:

الشرع سور قد أحاط بباطنى وحقيقتى تخفى عن الجهال

تسعون بحراً قد جرت فى باطنى ما غيبتنى عن حقيقة حالى

موسى كليم الله يحكم ظاهراً **والخضر يحكم فى الخفا فى الحال**

واعلم رحمك الله وأيدك بنور منه، أنه ربما غمض كلام الصوفى على الصوفى فلم يفهم منه شيئاً، وذلك لعلو مشرب أحدهما على مشرب الآخر.

وذكر ابن عباد الرندى الأندلسى أنه حاول أن يفهم كتب ابن سبعين فاستعصى عليه الأمر، حتى عاد منها بخفى حنين، كما قال ذلك لأحد تلامذته: والله ما بخلت عليك بسر، ولا هذا لى بتوق، ومازال قلبى يستعين على منزع ابن سبعين، لا لإنكار عليه، ولا لاعتقاد شئ مما نسبه أهل الجهل المركب إليه، ولكنى رأيت كلامه كثيرا ما يعذب، ويعنى القلب ويتعب وحينئذ لا يحصل لى منه شئ يشفى صدرى، ولا يثلج به خاطرى وسرى، كيف وهو الذى قال فى ذلك الكلام الأخير: وكلٌ غيرُ قاطعٍ، وكلُ قاطعٍ قاطعٌ ناقصٌ .

ثم يقول الرندى: فبينما أنا فى كلامه أطلع وأهبط وأخبط وأخلط وأستنزل معانى كلامه بلطائف الحيل، وأكابد النظر فيه بالقلب والعين، إذ انقلبت عنه صفر اليدين بخفى حنين، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

واعلم أن مشارب القوم تتفاوت فيما بينها، وليس كل صوفى عنده ما عند الآخر من المعارف والأذواق والمعرفة .

واعلم أن علم هذا لا يكون إلا عند عارف عن الأكوان غريب، وعند إنسان كامل طبيب، وقد قد قطع عين الحضرة بكل معنى لبيب، وقد قابلنا من هؤلاء إمام حضرة العرفان شيخنا القطب الكامل سيدى عبد المجيد الشريف ﷺ كان عالماً بأقدار الرجال معرفة تامة، سألته ذات مرة عن سيدى عمر بن الفارض ﷺ ؟ .

فأشاح بيده وقال لى: إيش يكون عمر بن الفارض بين الرجال ؟ .

وسألته ذات مرة عن سيدى محيى الدين بن عربى ﷺ ؟ .

فقال لى: يصعب الآن أن يتكرر أمثال سيدى أحمد التجانى وسيدى محيى الدين بن عربى فى مثل هذا الزمان .

ولما سُئِلَ سيدى أحمد التجانى ﷺ من قبل تلميذه وخليفته سيدى على حرازم ﷺ فى أن يضمن له مقام الشيخ الأكبر ابن عربى ﷺ وعلومه ؟ .

قال له سيدى أحمد التجانى ﷺ: أما علومه وأسراره فأنا أضمنها لك، وأما مقامه فلا علم لى به ولا أضمنه لك.

وإنما قال له ﷺ: لا علم لى به تمويهاً وكى لا يتطلع إلى مقامات من هو أعلى حالاً ومقاماً منه .

ولما ذُكِرَ ابن الفارض أمام سيدى محمد شمس الدين الحنفى ﷺ قال: لو كان ابن الفارض حياً لوقف ببابنا .

وقد ورد فى ترجمة الشيخ العارف محمد الفاروقى السرهندى النقشبندى ﷺ أنه كشف له عن مقامات الأولياء فرأى مقام أبى سعيد الخراز ومقام معروف الكرخى أعلى من مقام شيخه بهاء الدين نقشبند ﷺ ورأى مقامهما قد فاقا مقامات كثير من المشايخ .

وورد فى مناقب سيدى محمد الصديقى البكرى ﷺ أنه دخل لكى يتوضأ فى المسجد الأحمدى بطنطا، فوجد كل من يدخل يقول: مدد يا سيدى أحمد يا بدوى فأخذته الغيرة وأمسك بالإبريق وضرب به الحائط وقال: فىَّ مائة أحمد بدوى ثم تطور وملأ جسده الكون وانظر ترجمته فى جامع كرامات الأولياء للنبهانى فى حرف الميم .

ويحدثنا الشيخ الأكبر ﷺ فى الفتوحات أن أبا السعود بن شبل ﷺ فاق شيخه سيدى عبد القادر ﷺ لما عرض عليه التصريف فأبى أن يتصرف .

ومن المعروف عن سيدى أحمد التجانى ﷺ أنه لما بلغ تلميذه سيدى على حرازم ﷺ مرتبه الفتح المطلق أمره أن يخرج من البلدة التى هو فيها وإلا أصابه أذى، وأمره بالتوجه إلى المدينة المنورة حالاً فخرج .

وأعجب من هذا كله غموض معرفة العارف الكبير على عارف مثله كبير، بحيث يعرفها له بعد موته فى البرزخ ويرقيه بها، قال ابن عربى فى كتابه التجليات الإلهية: رأيت ذا النون المصرى فى هذا التجلى فكان من أظرف الناس فقلت له: يا ذا النون عجبت من قولك وقول من قال بقولك: إن الحق بخلاف ما يتصور ويتمثل ويتخيل، ثم غشى علىَّ، ثم أفقت وأنا أرعد ثم زفرت وقلت: كيف يتخلى الكون عنه والكون لا يقوم إلا به ؟ كيف يكون عين الكون وقد كان ولا كون ؟ يا حبيبى يا ذا النون ــ وقبلته ــ أنا الشفيق عليك لا تجعل معبودك عين ما تصورته ولا تخلى ما تصورته منه، ولا تحجبنك الحيرة عن الحيرة فقل ما قال ــ فنفى وأثبت ــ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ليس هو عين

ما تصور، ولا يخلو ما تصور عنه.

فقال ذو النون: هذا علم فاتنى وأنا حبيس والآن قد سرح عنى، فمن لى به وقد قبضت على ما قبضت؟

فقلت: يا ذا النون ما أريدك هكذا مولانا وسيدنا يقول: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ والعلم لايتقيد بوقت ولابمكان ولا بنشأة ولا بحال ولا بمقام .

فقال لى: جزاك الله خيراً قد بينت لى ما لم يكن عندى وتحلت به ذاتى، وفتح لى باب الترقى بعد الموت وما كان عندى منه خبر.

ويورد الشيخ الأكبر فى كتابه التجليات الإلهية تجلياً آخر يعلم فيه أبا القاسم الجنيد مسألة فى التوحيد لم تكن عنده ابان حياته فيقول: رأيت الجنيد فى هذا التجلى فقلت له: يا أبا القاسم كيف تقول: فى التوحيد يتميز العبد من الرب؟ وأين يكون أنت عند هذا التميز؟ لا يصح أن تكون عبداً ولا أن تكون رباً فلا بد أن تكون فى بينونة تقتضى الاستواء والعلم بالمقامين مع تجردك عنهما حتى تراهما، فخجل وأطرق .

فقلت له: تطرق نعم السلف كنتم ونعم الخلف كنا، إلحظ الألوهية من هناك تعرف ما أقولك لك، للربوبية توحيد وللألوهية توحيد، يا أبا القاسم قيد توحيدك ولا تطلق: فإن لكل اسم توحيداً وجمعاً.

فقال لى: كيف بالتلاقى وقد خرج عنا ما خرج ونقل ما نقل؟

فقلت له: لا تخف من ترك مثلى بعده فما فقد، أنا النائب وأنت أخى، فقبلته قبلة فعلم ما لم يكن يعلم وانصرفت .

واعلم أيدك الحق بروح منه أن العارف لايد له ولا مجال له فى الاختيار فى مقام معرفته، فالحق سبحانه أقامه حيث أراده، وحيث

اختار له حظه وموقعه من المعرفة .

يقول الشيخ الأكبر فى الباب الثامن والأربعين من الفتوحات: واعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار ولا عن نظر فكرى وإنما الحق تعالى يملى لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره، وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده وذلك شبيه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى ﴾ بين آيات طلاق ونكاح وعدة ووفاء.

فالعارف لايد له فى علو معرفته أو قصرها، وإنما يجب عليه الرضا التام بما أقامه الحق عز وجل فيه، وغاية الأمر كما قاله الشيخ فى الفتوحات: لو تجلى الحق سبحانه بتجليين متشابهين لدل ذلك على عجزه، وهكذا تتطبع فى صورة مرآة كل عارف التجليات الخاصة به والتى لا توجد عند أخيه، ومن هنا حدث التنافر بين الأولياء والإنكار على بعضهم البعض، وذلك من نتائج تعدد المشاهد المختلفة والمتضادة عند بعضهم البعض .

واعلم أن للقوم لغة باطنية خاصة بهم، تستروا بها لكى لايطلع أحد على معارفهم وعلومهم وهم يميلون بها للتغطية، ويتخذون بها حجاباً للتستر والتخفى، ويقيمون بها معاذير لأنفسهم .

وعلم الباطن واللغة الباطنية لهما سندهما القرآنى فى آيات القرآن المجيد، يقول سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا ﴾ .

ويقول سبحانه: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ ثم يطلب موسى عليه السلام من الخضر عليه السلام أن يتبعه لكى يتعلم منه هذا العلم فيقول له: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ .

ويقول سبحانه: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾.

ويقول سبحانه: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾.

ويقول سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى ﷺ: ((واعلم أن جميع ما أتكلم به فى مجالسى وتصانيفى إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه فإنى أعطيت مفاهيم الفهم فيه والإمداد منه))

ويقول فى موضع آخر من الفتوحات فى الباب الثانى: والغرض من هذا الكتاب إظهار لمع ولوائح إشارات من أسرار الوجود، ولو فتحنا الكلام على سرائر هذه الحروف وما تقتضيه حقائقها لكلت اليمين وحفِيَ القلم وجف المداد وضاقت القراطيس والألواح ولو كان الرق المنشور فإنها من الكلمات التى قال الله تعالى فيها :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾.

وقال فى موضع آخر: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ وهنا سرو إشارة عجيبة لمن تفطن لها وعثر على هذه الكلمات، فلو كانت هذه العلوم الإلهية نتيجة عن فكر ونظر لا نحصر الإنسان فى أقرب مدة، ولكنها موارد الحق تعالى تتوالى على قلب العبد، وأرواحه البررة تنزل عليه من عالم الغيب برحمته التى من عنده، وعلمه الذى من لدنه، والحق سبحانه وهاب على الدوام فياض على الاستمرار، والمحل قابل على الدوام.

ويقول صدر الدين القونوى ﷺ فى كتابه "اعجاز البيان فى تأويل أم القرآن": ومن لا يكشف له هذا الطور لم يعرف سر بطون القرآن التى ذكرها رسول الله ﷺ بقوله: ((**للقرآن ظهر وبطن إلى سبعة أبطن**)) وفى رواية ((**إلى سبعين بطناً**))، ولا سر قوله: ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾ ولا سر قوله: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ ولا سر قوله ﷺ ((**خصصت بست**)) وتعيينه فى جملتها: الفاتحة وخواتم البقرة للدلالة على كمال ذوقه وجمعيته، ولا سر قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ولا سر قول على ﷺ: ((لو اذن لى فى تفسير فاتحة الكتاب لحملت منها سبعين وقراً)) ولا سر الحسن ﷺ ((أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب فأودع المائة فى الاربعة وهى التوراة والانجيل والزبور والفرقان، وأودع الجميع فى القرآن، وأودع جميع ما فى القرآن فى المفصل، وأودع ما فى المفصل فى سورة الفاتحة)).

ويقول أبو نجيب السهروردى ﷺ فى كتابه آداب المريدين: ثم إن للمذهب ظاهراً وباطناً، فظاهره استعمال الأدب مع الخلق، وباطنه منازلة الأحوال والمقامات مع الحق، ألا ترى إلى رسول الله ﷺ لما نظر إلى المصلى وهو يعبث فى صلاته قال ((**لو خشع قلبه لخشعت جوارحه**)).

وقال سهل بن عبد الله التسترى ﷺ: العلوم ثلاثة علم من الله: وهو علم ظاهر كالأمر والنهى والاحكام والحدود، وعلم مع الله: وهو علم الخوف والرجاء والمحبة والشوق، وعلم بالله: وهو علم بصفاته ونعوته .

وقيل: علم الظاهر علم الطريق وعلم الباطن علم المنزل .

وقال أستاذنا محمد الحافظ التجانى ﷺ فى كتابه أهل الحق العارفون بالله عند التعرض لكلامهم فى التفسير ما نصه: وأما كلامهم الإشارى فهم بأنفسهم لا يقولون بأنه تفسير لكتاب الله عز وجل، وإنما هى خطرات وواردات عند قراءة الكتاب، لا أنها تفسير له، وهى أمور سيقت على نسق التشبيه، وأى حرج على من شبه وارد الهداية الربانى على النفس المتمردة برسالة موسى إلى فرعون؟

وقال الشيخ الأكبر فى التدبيرات الإلهية: إن العلوم عندنا تنقسم إلى قسمين:

قسم يأتى من أسفل بالكد وطلب الزيادة، إنه من تحت القدم، يقترن بالعمل والمتابعة، وهذا النوع يسرع إليه التغيير إلا أن يكون صاحبه قوى المحافظة على الموازنة فى الحركات والسكنات والمطاعم والمشارب ويحفظ بذلك رتبة الاعتدال .

والقسم الثانى: يأتى من أعلى اجتباء: وحياً أو إلهاماً، وهو ما يسمى بالعلم اللدنى وهو مصبوب من الرحمة التى اختص الله بها عباده الذين أفردهم إليه، وهذا العلم هو الذى طلب منه رسول الله ﷺ المزيد حيث قال ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ وقد رآه رسول الله ﷺ فى صورة المحسوس على ما خرجه البخارى فى صحيحه قال: قال رسول الله ﷺ ((**رأيت كأنى اتيت بقدح لبن فشربته حتى خرج الرى من أظافيرى، ثم أعطيت الفضل عمر**)).

قالوا: فما أولته يا رسول الله؟

قال: العلم .

واعلم أنه لا التقاء بين الفقيه الظاهرى والصوفى العارف بربه الباطنى، ولو كان الأول شيخ الإسلام وكان الثانى أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وربما كان صاحب مهنة متواضعة كحلاق، وقد كان شيخ الإمام النووى ﷺ فى علم الباطن حجاماً وحلاقاً، وربما كان حلاجاً يحلج القطن كالحلاج رحمه الله، وربما كان خياطاً وخرازاً مثل أبى سعيد الخراز ﷺ، وربما كان خولياً مثل إبراهيم بن أدهم ﷺ، وربما

اشتغل فى الخوص ونسج الحصر كإبراهيم الخواص رحمه الله.

فالمعرفة لا تتعلق بعلو المنصب فى العلوم الشرعية الظاهرية، فربما كان شيخ الإسلام أجهل بربه من دابة عند الله، وقد وصف ذلك الحق فقال: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾

ولذلك لما مر العارف الفرغل ﷺ على شيخ الإسلام ابن حجر قال فى سره ما اتخذ الله من ولى جاهل، فهرول إليه الفرغل مسرعاً وامسك به من تلابيب ثيابه وقال: بل اتخذنى وعلمنى يا ابن حجير.

ويحكى حفيد الإمام الشعرانى محيى الدين الشعرانى فى مناقبه المسماة "تذكرة أولى الألباب فى مناقب الشعرانى سيدى عبد الوهاب" قائلا: إن شيخ الإسلام البلقينى مر على صبى قراد بباب الخلق فأنكر عليه حاله، فسلبه صبى القراد علمه، ولما ذهب إلى المسجد لكى يصلى بالناس أراد أن يقرأ الفاتحة فلم يستطع، فقطع الصلاة واستغفر ربه، وعلم أن ما اصابه إنما حدث له من جهة إنكاره على صبى القراد، فرجع إليه فوجده ينطط قرده أمام الناس فانتظره لما أنهى، وقال له: أرجع لى رأسمالى، فقال له بشرط عدم الاعتراض على أحد من أهل الله، فلما أقر قال له: علمك موجود فى قلب الديك الذى على سطح بيتك فاذبحه وكل قلبه يرجع إليك علمك .

واعلم أن صفة صبى القراد هذا ينطبق عليها حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه: ((**رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**)).

فإياك يا أخى أن تقيس علم أحد بشكله الظاهرى وهندامه الشكلى، أو بمنصبه العلمى، وربما غيره من رجال الله المستضعفين الذين لايؤبه لهم هم المشهورون فى الملأ الأعلى .

وخير دليل لنا فى هذه القضية أن الأعلام من المفسرين والحفاظ الذين كانوا

فى صدر الإسلام كانوا من الموالى والعبيد أمثال عكرمة وقتادة والحسن البصرى وغيرهم من السلف الصالح.

ويحكى الشعرانى فى مناقب الشيخ سيدى عبد العزيز الدرينى ﷺ أن علماء وقته عقدوا له مجلساً للمناظرة فى الجامع الأزهر، فبينما هم مجتمعون خرج لهم الشيخ ﷺ وعيناه محمرتان كالجمر وقال لهم: سلونى عن كل علم نزل من السماء، فخرس الجميع ولم يستطيعوا أن يتكلموا بحرف، ثم سأله بعدها أحد تلاميذه عن تلك الحالة التى كان فيها ؟ فقال له: أما لو تكلم واحد منهم لافترسته.

فإياك يا أخى أن تتعرض لأحد من الفقراء بالامتحان أو التعالى عليه فتسقط من نظر الله عز وجل.

واعلم أن المفسرين لكتاب الله عز وجل على درجات متفاوتة: فمنهم علماء الظاهر، وهم أنفسهم على درجات:

فمنهم من فسر الكتاب بالإعراب والنحو كالعكبرى.

ومنهم من فسره من حيث علم الكلام كالفخر الرازى.

ومنهم من فسر أحكامه كالجصاص والقرطبى وأبى بكر بن العربى .

ومنهم من فسره بالحديث كابن كثير والسيوطى فى الدر المنثور والطبرى.

ومنهم من فسره موجزاً مثل تفسير الجلالين والنسفى.

ومنهم من فسره بالتصوف والإشارات مثل تفسير أبى عبد الرحمن السلمى وتفسير القشيرى وتفسير ابن عربى وتفسير القاشانى وتفسير سهل التسترى وتفسير الحلاج.

واعلم رحمك الله أنه قلَّ من يفهم التفسير الرمزى الإشارى من أهل الظاهر، فإن القوم ما صنفوا تفاسيرهم الإشارية إلا لخاصة أنفسهم ولغيرهم من أهل الله عز وجل.

فليعذرهم وليقدم لهم الأعذار من لم يفقه لغتهم الخاصة بهم .

واعلم أن من علومهم الغامضة فى فنون التفسير الرمزى علم الحرف.

واعلم أن الحق سبحانه قد أطلع هذه الخاصة من خلقه على علم الحرف، اطلاعا شهوديا عرفانياً.

يقول شيخنا الطائى ﷺ محيى الدين بن عربى: اعلم وفقنا الله وإياكم أن الحروف أمة من الأمم مخاطبون ومكلفون وفيهم الرسل من جنسهم ولهم أسماء من حيث هم ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقتنا وعالم الحروف أفصح العالم لساناً وأوضحه بيانا وهو على أقسام كأقسام العالم المعروف فى العرف.

وروى السراج ﷺ فى اللمع فى باب ذكر المشايخ الذين رموهم بالكفر أن عمرو بن عثمان المكى كان عنده حروف فيه شئ من العلوم الخاصة فوقع فى يد أحد تلامذته فأخذه وهرب، فلما علم بذلك عمرو بن عثمان قال: سوف يقطع يده ورجليه ويضرب رقبته .

ويقال أن الغلام الذى سرق منه ذلك الكتاب هو الحلاج .

وروى أن أبا عبد الله الحسين بن مكى الصبيحى تكلم فى شئ من علم الأسماء والصفات وعلم الحروف فكفره أبو عبد الله بن الزبيرى وهيج عليه العامة فقال: إن سهل بن عبد الله قال له: نحن فتحنا للناس جراب الحلتيت فلم يصبروا علينا فلما كلمتهم أنت فيما لا يعرفون .

ويقول سيدى عبد الوهاب الشعرانى ﷺ فى كتابه الطبقات الكبرى: إن جميع المعبرين والمفسرين والمتكلمين فى القرآن العظيم لم يصلوا إلى معشار عشر معرفة كنه إدراك معنى واحد من حروفه، ولا يصل الرجل مقام الكمال حتى يصير قادراً على تخريج جميع أحكام الشريعة المطهرة من أى حرف شاء من حروف الهجاء.

ويقول ﷺ فى موضع أخر: إن أرت يا والدى أن تفهم أسرار القرآن العظيم

فاقتل نفس دعواك واذبح شبح قولك واطرح نفسك تحت قدم أقدامك وعفر خديك على الثرى واشهد أن نفسك قبضة من تراب واعترف بكثرة ذنوبك وخف أن ترد عليك عبادتك وقل: يا ترى متلى يقبل منه عمل ؟ فإذا كنت على هذا الوصف فيرجى لك أن تشم رائحة من معانى كلام ربك وإلا فباب الفهم عنك مغلق، وعزة ربى إن كل حرف من القرآن العظيم يعجز الثقلان عن تفسيره، ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يعلموا معنى الباء بعقولهم لعجزوا، وما لأحد من ذات نفسه شئ قل أو جل، وإن لم يكن الله تعالى يعلم العبد وإلا فهو عائم فى البحر محجوب، لا شم ولا لم ولا علم ولا حس، ومن لم يذق مقام القوم ويرى ويشاهد لم يحسن أن يصف بحراً لا قرار له، أو يترجم عن ساحل لا آخر له، أو يعوم فى مقر التخوم ويصل إلى النون، أو يدرك معانى السر المصون، وأما إذا أعطى عبده علم ذلك فلا مانع.

ويقول فى موضع آخر فى الطبقات الوسطى: إذا كمل العارف فى مقام العرفان أورثه الله علماً بلا واسطة وأخذ العلوم المكنونة فى ألواح المعانى، ففهم رموزها وعرف كنوزها وفك طلسماتها وعلم اسمها ورسمها، وأطلعه الله على العلوم المودعة فى النقط ولولا خوف الانكار لنطقوا بما يبهر العقول، وكذلك لهم من إشارات العبارات عبارات معجبة وألسن مختلفة وكذلك لهم فى معانى الحرف والقطع والوصل والهمز والشكل والنصب والرفع ما لا يحصر ولا يطلع عليه إلا هم، وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء وما فى البحر والبر ما هو مكتوب على صفحة قبة السماء وما فى حياة الإنس والجن مما يقع لهم فى الدنيا والآخرة.

وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب بلا كتابة من جميع ما هو فوق الفوق وتحت التحت.

ولا عجب من حكيم يتلقى علماً من لدن حكيم عليم، فإن مواهب السر اللدنى قد ظهر بعضها فى قصة موسي والخضر عليهما السلام.

ونقل الكركى ﷺ فى لسان التعريف أن القطب الدسوقى ﷺ قال: إننى أشرح فى نقطة الباء سبعة أحمال بعير فتتقطع قلوب العارفين وتهتز وتميل عند معرفة نقطة الباء .

وقال الإمام أبو زيد بن محمد ﷺ فى شرحه لحزب البر الكبير للإمام الشاذلى ﷺ: إن علوم الحروف والأسماء من علوم الكشف فلا فائدة فى التصرف فيها والكلام عليها ببضاعة العقل بل لايعرفه من جهله ولا يجهله من عرفه، وكل على حسب ما فتح الله له .

ولذلك يتفاوت فيها أهلها ويقع الاختلاف بينهما فيما يشيرون إليه فيها، ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ﴾.

وقال الحكيم الترمذى فى كتاب تحصيل نظائر القرآن: فإن العلوم كلها من حروف المعجم لأن مبتدأ العلم أسماء الله ومنها خرج الخلق والتدبير فى أحكام الله وحلاله وحرامه والأسماء من الحروف ظهرت وإلى الحروف رجعت .

ويقول ابن سبعين فى مقدمة كتابه شرح كتاب إدريس عليه السلام: اعلم أن الحروف خزانة الله وفيها أسراره وأسماؤه وعلمه وأمره وصفاته ومراده، فإذا اطلعت على شئ منها فأنت من خزانة الله فلا تخبر بذلك أحداً بما فيها من المستودعات، فمن هتك الأستار عذب بالنار.

ويقول البونى ﷺ وهو أستاذ ابن سبعين: إن علم الحروف لا يتوصل إليه بالقياس العقلى وإنما بطريق المشاهدة والتوفيق الإلهى .

وقد قابلنا من أهل الله ﷺ من له معرفة وحظ بعلم الحرف منهم صديقنا العارف الكبير الشيخ صلاح الدين التجانى ﷺ رأيته ذات مرة يخطط فى كتاب بين يديه بخطوط جميلة فقال لى: إذا كتبت أى حرف

فى كتاب فيجب عليك أن تحسن حروف خطك لكون الحرف لا يزال يستغفر الله لك ما دام موجوداً فى تلك الصحيفة التى كتبته فيها.

فسألته عن السبب فى ذلك الاستغفار؟ فقال لى: لأنك السبب فى إيجاد ذلك الحرف وإبرازه إلى عالم الوجود من العدم .

ثم قال لى: إن الحروف أمة من الأمم جليلة أمثال الأمم الأخرى من الإنس والجن .

ولما أنشأت عمارة لى بنواحى الهرم ووضعت كتبى فى الصناديق والكراتين لمدة طويلة، وكان معظمها قديما فتمزق منها جزء بسبب عدم تجليده، قال لى الشيخ صلاح الدين المذكور ﷺ: من الواجب عليك إكرام الكتب بالتجليد ورصها فى الأرفف لأنها تحس كما يحس بنو البشر، فلم ألبث أن اشتريت بمبالغ طائلة عدة مكتبات خشبية ورصصت كتبى فيها وأنفقت مبلغا باهظا على تجليدها .

ومن عجائب علم الحروف أنها كانت تخاطبنى وتخبرنى بأشياء عجيبة، وبلسان فصيح عما يختلج فى صدرى، لاسيما الآيات القرآنية، فإنها كانت رفيقى فى التثبيت وإرسال الهواتف منها إلىَّ.

فمن ذلك أن بعض الجن كان يؤذينى، وتكدرت فى ذلك أيما تكدر، فخاطبنى القرآن فى أول مرة قائلا ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾، فلم أعبأ ثم أوذيت فنادانى بنفس الخطاب.

ثم أوذيت ثالثاً فنادانى ثالثاً بنفس الآية فعلمت أن الدعاة إلى الله أمثالنا لابد لهم من قدوة بالرسل والأنبياء فى إلقاء تلك الإذاية لهم من قبل الله عز وجل.

وذات مرة أحببت أن يرقينى إنسان صالح بالرقية الشرعية، فبينما أنا متوجه إليه قابلنى أحد الأولياء – ولا أعرفه – فحذرنى من ذلك وقال لى: هذا هو القرآن سيخبرك بخطئك، وأمسك بالمصحف وأعطاه لى وقال: افتحه وأقرأ أول

سطر تجده، ففتحته فوجدت قوله سبحانه ﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾، فضحك وقال لى ربنا يقول لك: كيف تبصر وأنت من أهل الكشف وتذهب إلى أعمى لكى يعالجك مما أصابك، ثم قال لى: إن هذه أحمال وأثقال خاصة بك وهى ضريبة الكشف والولاية، وإن لكل شئ ضريبة فكيف تريد أن تتهرب من ضريبة الولايةوهى ليست من السحر فى شئ ؟.

ولنا مع علم الحروف قصص طويلة لا سيما فى مجال الاسم الأعظم الكبير، الذى تلقيناه من أحد الأولياء بإذن من حضرة سيد الوجود ﷺ وبرؤية منامية عرفانية رأيت فيها كأننى واقف على منبر لكى أخطب خطبة الجمعة وبجوارى رجل لا أعرفه فقال لى: لابد لك من طاقية حتى تخطب وسأبحث لك عن واحدة ورأيته كلما ذهب إلى جهة لم يجد لى طاقية ألبسها، والناس بين يدى منتظرون أن أخطب حتى قال لى ذلك الرجل: لم أعثر لك على أى طاقية وإننى سأعطيك طاقيتى فخلعها وألبسنيها فخطبت الجمعة وحمدت الله عز وجل ولما ابتدأت بالصلاة على حضرة سيد الوجود ﷺ اغرورقت عيناى بالدموع فبكيت، وفى صبيحة هذا اليوم وجدت رجلاً من أهل الله يعطينى عدة صيغ للاسم الأعظم الكبير فى إجازة خاصة ومعها الخلاقة .

ولما ابتدأت بتلاوة هذه الأسماء وجدت كثيراً من الأرواح تتهافت على الكلام معى فى أثناء التلاوة.

فمنهم من يقول لى: ربنا يكرمك.

ومنهم من يقول لى: نحن نحبك.

ومنهم من يخبرنى بأمور غيبية.

ومنهم من يحذرنى من أمر معين يخطر لى فى ذهنى.

ومنهم من يوبخنى على تقصير معين حدث منى. ولما ابتدأت ذكر هذا الاسم بأحد الصيغ أخذتنى حالة فهوانية بين النوم واليقظة فأحسست كأن حبة السبحة مثل

الجبل ولا أستطيع سحبها بأصبعى الضعيف، وقررت أن أتوقف عن التلاوة لعدم قدرتى على سحب حبات السبحة الواحدة، ولكننى قررت الاستمرار وبلطفه تعالى أكملت العدد .

وفى مبشرة منامية رأيت كأننى واقف على باب الجنة ومعى الشيخ صلاح الدين التجانى ﷺ فقال لى: انظر إلى هذه النقوش التى على باب الجنة إنها أسماء مؤلفاتك فرفعت رأسى فوجدت طلاسماً وحروفاً ملغزة فألقى إلىَّ أنها أسماء مؤلفاتى مكتوبة على باب الجنة.

واعلم أيدك الله أنا لا نلزم أحداً من أهل الظاهر بإشارة الصوفى ورمزه الباطنى، فى كل ما يشير إليه العارف، سواء معبراً عن وقته أو عن آية فى كتاب الله، فإن الأرقى لا يلزم الأدنى بأن يتحقق بمعرفته الخاصة، وإلا فكيف يرفعه إلى ما لا يعلمه، وخير مثال لهذا كمن يأتى بطفل رضيع لا يتكلم ويقول له هل تفهم فى الكمبيوتر؟ أو كمن يطالب الأعمى ويقول له: هل تبصر ضوء الشمس؟، فالصوفى علمه خاص به، ومذاقاته خاصة به، وشطحاته خاصة به .

يقول سيدى محيى الدين بن عربى: إن الإشارة عند أهل الطريق تؤذن بالبعد أو حضور الغير، وما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله والمختصين بخدمته العارفين به من طريق الوهب الإلهى الذين منحهم أسراره فى خلقه، وأفهمهم معانى كتابه وإشارات خطابه، فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل عليهم السلام، ولما كان الأمر فى الوجود الواقع على ما سبق به العلم القديم كما ذكرناه عدل أصحابنا إلى الإشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الإفك والإلحاد إلى الإشارة فكلامهم ﷺ فى شرح كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إشارات، وإن كان ذلك حقيقة وتفسيراً لمعانيه النافعة، ورد ذلك كله إلى نفوسهم مع تقريرهم إياه فى العموم، وفيما نزل

فيه كما يعلمه أهل اللسان الذين نزل ذلك الكتاب بلسانهم، فعم به سبحانه عنـــدهم الوجهين كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ يعنى الآيات المنزلة فى الآفاق وفى أنفسهم، فكل آية لها وجهان: وجه يرونه فى نفسوهم ووجه آخر يرونه فيما خرج عنهم، فيسمون ما يرونه فى نفوسهم إشارة، ليأنس الفقيه صاحب الرسوم إلى ذلك، ولا يقولون فى ذلك إنه تفسير، وقاية لشرهم وتشنيعهم فى ذلك بالكفر عليهم، وذلك لجهلهم بمواقع الخطاب الحق، ولكن علماء الرسوم لما آثروا الدنيا على الآخرة، وآثروا جانب الخلق على جانب الحق، وتعودوا أخذ العلم من الكتب، ومن أفواه الذين من جنسهم، ورأوا فى زعمهم أنهم من أهل الله بما علموا وامتازوا به عن العامة، حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله عباداً تولى الله تعليمهم فى سرائرهم بما أنزله فى كتبه وعلى ألسنة رسله، وهو العلم الصحيح عن العالم المعلم الذى لا يشك مؤمن فى كمال علمه ولا غير مؤمن.

ولما رأى أهل الله أنه قد اعتبر الإشارة استعملوها فيما بينهم، ولكـــن بينـــوا معناها، ومحلها ووقتها فلا يستعملونها فيما بينهم، ولا فى أنفسهم إلا عند مجالسة من ليس من جنسهم، أو لأمر يقوم فى نفوسهم.

واصطلح أهل الله على ألفاظ لا يعرفها سواهم إلا منهم، وسلكوا طريقة فيها لا يعرفها غيرهم، ولا يتكلمون بها إلا عند حضور الغير، أو فى تآليفهم ومصنفاتهم لا غير.

واعلم أن تفسيرنا هذا ما كتبناه إلا سوى لأهل الإشارة من أهل الله عز وجل، وهو بحق خواطر إيمانية، وواردات غيبية حقية، ورموز عرفانية ذوقية، وقـــد مكثت أكتب فيه زهاء ثلاثة أعوام، ولم يمنعنى من الكتابة فيه سفر ولا حـــضر، ولا صحة ولا مرض، ولا ليل ولا نهار، بل كنت أحمل القلم والورق لكى أكتب فيه وأتمه أينما توجهت، حتى أننى شغلت ذات مرة بتشطيب شقة لى فكنت أكتب بين الطوب والأسمنت غير مكترث بشئ، حتى أتممته والحمد لله رب العالمين.